

قول مستدرک

على صيغة "تفعال" المصدرية في العربية

د. عودة خليل أبو عودة

قسم اللغة العربية - كلية الآداب

جامعة الزرقاء الأهلية

كنت منذ بعض الوقت شغوفاً بجمع ما أقف عليه من شواهد شعرية، ونصوص نثرية ترد فيها صيغة (تفعال) بفتح التاء وبكسرها. وكنت أشعر بجمال اللغة عند نطق هذه الصيغة في شواهدا المتعددة، لأنها من صميم العربية، وأرى أن من يقولها في شعره أو نثره إنما هو من صميم العرب ذوي السليقة الصافية، والفصاحة الفطرية. إضافة إلى ما توحى به صيغة تفعال (بفتح التاء) من المبالغة في الفعل. وأقول (المبالغة) بدلالاتها التراثية، لا بما أصبح يفهم منها في استعمال الناس في حياتهم اليومية.

ثم إنني فوجئت ببحثٍ وافٍ مستقصٍ حول هذه الصيغة أعدّه الأستاذ الدكتور محمد جبار المعبيد، ونشره في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني في عددها الثالث والستين، تموز - كانون الأول عام ٢٠٠٢، حيث ذكر مئة وستة أمثلة على هذه الصيغة بدأها بتأخاذ من الفعل أخذَ وانتهى بتمَيال من ميل. وقد ذكر الأستاذ الباحث أن هذا هو القسم الأول من بحثه.

قرأت البحث براحة كبيرة، ووجدتُ أن الأمثلة التي أتى بها الأستاذ تفوق كثيراً ما كنت جمعته. وعندما قرأت (القسم الأول) توقعت أن يلحق به قسم ثانٍ، وأنه ربما يكون في العدد التالي من المجلة، فانتظرتُ، وقد كان، إذ نُشر

القسم الثاني من البحث في العدد الرابع والستين من المجلة. وقد اشتمل على ثلاثة وثلاثين مصدراً على هذه الصيغة، إضافة إلى سبعة عشر مصدراً آخر ذكر أنها مما تفرد به الشعراء العباسيون.

وقد سرنى أن الباحث قال في تمهيده الموجز أمام القسم الأول من بحثه: "ولا بد من الإشارة إلى أن هذا الفهرس لا يضم كل صيغ التفعّال في شواهد الشعر، وإنما يضم الشواهد التي وقفت عليها من خلال استقراي دواوين الشعر والمصادر الأخرى. فالاستدراك عليه مني ومن جميع الباحثين قائم ومفتوح".^(١)

وقد شجعني تواضع العلماء هذا على أن أسجل فيما يلي بعض المصادر التي وردت على هذه الصيغة (تفعّال) ولم ترد في هذا البحث بقسميه، وبعض الشواهد الشعرية والنثرية التي ذكرت هذه الصيغة، أضيفها إلى الشواهد التي وردت في ذلك البحث القيم. راجياً أن أوفق في بحث آخر في عرض الأسماء التي وردت على وزن (تفعّال) بكسر التاء. وبخاصة أن بعض المصادر ذكرت أنه لم يرد في كلام العرب على هذا الوزن سوى لفظين هما تبيان وتلقاء. وعلى الرغم من أن بعض المصادر كشافية ابن الحاجب والمزهر للسيوطي ذكرت نيفاً وعشرين اسماً على هذا الوزن إلا أن الذي شاع في كتب اللغة أنه لم يرد عليه سوى (تبيان) و (تلقاء) كأن المصادر والمراجع أخذت بداية النص الوارد في المزهر ولم تثبت سائره. جاء في المزهر: ^(٢)

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٦٣، ص ٩٧.

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج ٢ ص ٩٢.

"قال سلامة الأنباري في شرح المقامات: كل ما ورد عن العرب من المصادر على تفعال فهو بفتح التاء إلا لفظتين، وهما تبيان وتلقاء"^(١)

ويبدو لي أن كلام الأنباري دقيق وصحيح، ذلك أنه يتحدث عن (المصادر). والمصادر غير الأسماء. وقد أدرك العلماء الفرق بين المصادر والأسماء في هذه المسألة وفي غيرها. جاء في المزهري في موضع آخر: "قال في الصحاح، قال أبو سعيد الضرير: قلت لأبي عمرو: ما الفرق بين تفعال وتفعال؟ فقال: تفعال اسم وتفعال مصدر"^(٢).

وانتماءً للفائدة أقول إن العرب أدركت الملمح الدلالي في هذه الصيغ وغيرها عندما تتبدل صيغ اشتقاقها. فإذا كان تفعال -بفتح التاء- مصدرًا، و -بكسرهما- اسمًا؛ فإن في المصدر معنى المبالغة في مصدر الثلاثي. جاء في شرح الشافعية: "قال^(٣): ونحو الترداد والتجوال والحنثي والزمي للتكثير" أقول^(٤): يعني أنك إذا قصدت المبالغة في مصدر الثلاثي بنيته على التفعال وهذا قول سيبويه، كالتّهذار في الهذر الكثير والتلّعب والتّرداد وهو مع كثرته ليس بقياس مطرد، وقال الكوفيون: إن التفعال أصله التفعيل الذي يفيد التكثير قلبت ياءه ألفاً. فأصل التكرار التكرير، ويرجح قول سيبويه بأنهم قالوا التلّعب ولم يجئ التلعب، ولهم أن يقولوا إن ذلك مما رفض أصله، قال سيبويه: وأما التبيان فليس ببناء مبالغة وإلا انفتح تاؤه بل هو اسم أقيم مقام مصدر بين كما أقيم غارة مقام إغارة في قولهم أغرت غارة ونبات موضع إنبات وعطاء موضع إعطاء في قولهم أنبت نباتاً، وأعطى عطاءً"^(٥).

أولاً: مصادر (تفعال) المستدركة على البحث.

(١) المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج ٢ ص ٩٢.

(٢) المزهري ١٣٩/٢.

(٣) أي ابن الحاجب

(٤) أي الشارح الشيخ رضى الدين الاسترلابادي.

(٥) شرح شافعية ابن الحاجب ١٦٧/١.

١ - أثم / تأثم.

جاء هذا المصدر في مَثَلٍ رواه المفضل الضبي في (أمثال العرب) ورواه الميداني في (مجمع الأمثال)، ومما جاء في قصته "أن مجاشع بن دارم وَقَدَ على بعض الملوك فكان يسامره، وكان أخوه نهشل بن دارم رجلاً جميلاً، ولم يك وقاداً على الملوك. فقال (الملك): أُوَفِّدْهُ، فلما أُوَفِّدَ اجتهره ونظر إلى جماله، فقال: حدثني يا نهشل. فلم يُجِبْهُ. فقال له مجاشع: حَدَّثَ الملك. فقال: إني والله لا أحسن تَكْذَابِكَ وتَأْثَامَكَ، تشول بلسانك شَوْلَانَ البروق^(١)" فأرسل شَوْلَانَ البروق مثلاً. والبروق الناقة التي تشول بذنبها تُري أهلها أنها لاقح وليست بلاقح. والمثل يضربه مَنْ قل كلامه لمن يكثر كلامه.

٢ - أسي / تأساء.

قال الغزيان بن سهيل النبهاني، من طيئ.
أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَغْزِيَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابْتَنِي وَلَمْ تُرِدْ
كِلَاهُمَا خَلْفٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي^(٢)

٣ - بكر / تبكار

(١) مجمع الأمثال ج ٢، ص ٢١٩.

(٢) الحماسة البصرية، ص ١٣٥.

ورد هذا المصدر على لسان سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ حِينَ وَقَدَ عَلَى عَمْرِ بْنِ
الخطاب رضي الله عنه، وهي قصة طويلة طريفة، يمكن قراءتها كاملة في
جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي.

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَبَكَرَهَا وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَكْوَارِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَكُفَّارِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ بَيْنَ رِوَاسِيهَا وَأَخْجَارِهَا^(١)

٤ - جال/ تجوال

ذكره سيبويه، مع مصادر أخرى على الوزن نفسه (تفعال) في باب (ما
تُكْتَرُ فِيهِ الْمَصْدَرُ مِنْ فَعَلْتُ) فتلحق الزوائد وتبنيه بناءً آخر، كما أنك قلت
في فَعَلْتُ فَعَلْتُ حِينَ كَثُرَتْ الْفَعْلُ، وذلك قولك في الهذر التَّهْذَارِ، وفي
اللعب: التَّلْعَابِ، وفي الصَّفْقِ التَّصْفَاقِ، وفي الرَّدِّ التَّرْدَادِ وفي الْجَوْلَانِ
التَّجْوَالِ والتَّقْتَالِ والتَّسْيَارِ.^(٢)

وقال في لسان العرب: وجال في التَّطَوُّافِ يَجُولُ جَوْلًا وَجَوْلَانًا وَجَوْلًا...
والتَّجْوَالِ التَّطَوُّافِ.

وجاء في تاج العروس: وجَوْلَ تَجْوَالًا - عن سيبويه - قال: والتَّفْعَالُ بناء
موضوع للكثرة. وفي الباب جال تَجْوَالًا.

٥ - حمل/ تحمال.

(١) جمهرة أشعار العرب، ج ١ ص ١٧٣.

(٢) كتاب سيبويه ٨٣/٤ - ٨٤.

قال الأعشى:

أَوْكُنْ لَهَا جَمَلًا ذَلُولًا ظَهْرُهُ أَحْمِلُ وَكُنْتُ مُعَاوِدًا تَحْمَالَهَا.^(١)

٦- خبر/ تخبار

ورد هذا المصدر على لسان سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ في أثناء الحوار الذي جرى بينه وبين عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

يقول: "قللت: تَنَحَّ عني فَإني ناعس، فوَلَّى عني وهو يقول:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَخْبَارِهَا وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَقْتَابِهَا^(٢)
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجِنِّ كُفَّارِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ قُدَامَاهَا كَأَذْنَابِهَا

٧- سخن/ تسخان

جاء في المزهري: قال ابن مكتوم وزادوا عليه -أي ما ورد على وزن
تفعال بكسر التاء-.. والتسخان للخبف. لكن الفتح فيه أكثر.^(٣)

(١) ديوان الأعشى، ص ٨١.

(٢) جاء في رواية كتاب (خيال العرب) ص ٣٤، نقلاً عن جمهرة أشعار العرب. وقد رأينا في مصدر (تطراب) اختلافاً يسيراً في الرواية، ويبدو أن هذه الرواية غير دقيقة، يظهر من اختلاف الكلمتين في العروض والضرب.

(٣) المزهري، ج ٢ ص ١٣٨.

٨ - صفق/ تصفاق

ذكرها سيبويه في نسه السابق^(١) وقال في تاج العروس: "والتصفاق بالفتح مصدر صَفَقَ صَفْقًا... قال السيرافي يجوز أن يكون من صَفَقَ الكف على الأخرى وهو التصفاق وتذهب به إلى التكثير".

٩ - طرب/ تطراب

وعلى لسان سواد بن قارب أيضاً ورد هذا المصدر في القصة نفسها التي أشير إليها قبل قليل في المصدر (تَبَكَار).
عَجَبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْرَابِهَا وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَقْتَابِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَكْفَارِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ قَدَامَهَا كَأَذْنَابِهَا

١٠ - طاب/ تطياب

جاء في تاج العروس: "طاب الشيء يطيب طاباً وطيباً - بالكسر - وطيبة بزيادة الهاء - وتطياباً - بالفتح لكونه معتلاً، وأما من الصحيح فبالكسر كَتَذْكَارٍ وَتَطْلَابٍ وَتَضْرَابٍ ونحوها، صرح به أئمة الصرف.

١١ - فضل/ تفضال

قال الأعشى يمدح سلامة ذا فائش:
قَلَّدْتُكَ الشُّعْرَ يَا سَلَامَةَ ذَا الْـ تَفْضَالِ وَالشَّيْءُ حَيْثُمَا جُعِلَا.^(٢)

(١) انظر المصدر (تجوال) من هذا البحث.

(٢) ديوان الأعشى، ص ٢٨٥.

١٢ - كر / تكرر .

جاء في تاج العروس، كرّ عليه يكرّ كرا وكُروراً (كفعود) وتكرّراً (بالفتح) عَطَفَ. وكَرَّرَه تَكْرِيراً وتَكْرَراً. ونجد في مادة (كرّ) هنا تفريقاً لطيفاً بين التوكيد والتكرار.

١٣ - لعب / تلعب .

ذكره سيبويه في النص نفسه الذي أثبتناه عند المصدر (تجوال). واعتمدت على هذا النص معظم المعاجم الكبرى. جاء في تاج العروس (مادة لعب): "والتَّلْعَابُ اللعب صيغةٌ تدلُّ على تكثير المصدر... قال سيبويه: هذا باب ما يُكْتَرُ فيه المصدر... ثم ذكر المصادر التي جاءت على التَّفْعَالِ كالتَّلْعَابِ وغيره". وقال أيضاً: تَلْعَابٌ وتَلْعَابَةٌ (يكسران ويفتحان)، وتَلْعَابٌ وتَلْعَابَةٌ بالكسر وتشديد العين فيهما. قال: وفي الصحاح رجل تَلْعَابَةٌ وفي نسخة التهذيب مضبوط بالتشديد والكسر إذا كان يتلعب وكان كثير اللعب.

١٤ - هذر / تهذار .

يقول سيبويه في باب " ما تكثر فيه المصدر من فَعَلْتُ، فتلحق الزوائد وتبنيه بناءً آخر، كما أنك قلت في فَعَلْتُ فَعَلْتُ حين كثرت الفعل وذلك قولك في الهذر التهذار... "(١) ويؤيد السيرافي هذا الرأي فيقول في شرحه للكتاب "اعلم أن سيبويه يجعل التَّفْعَالِ تكثيراً للمصدر الذي هو للفعل الثلاثي. فيصير التَّهْذَارُ بمنزلة قولك الهَذَرُ الكثير... "(٢)

(١) كتاب سيبويه ج ٤، ٨٣-٨٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ٨٤.

ثانياً: شواهد (تفعّال) المستدركة على البحث.

أوردُ فيما يلي بعضَ الشواهد التي وقفتُ عليها على بعض مصادر (تفعّال) الواردة في البحث، أسجلها هنا لتضاف إلى مصادرها:

١ - تَذْرَاف.

لَئِنْ قَطَعَ الْبَاسُ الْحَنِينَ فَإِنَّهُ رَقِوْءٌ لَتَذْرَافِ الدُّمُوعِ السَّوَافِكِ

رواه أبو بكر الأصفهاني في كتابه الزُّهرة، وذكر محققه إبراهيم السامرائي أن الأبيات لذي الرمة. (١)

٢ - تَسْكَاب.

عَيْنُ جُودِي بِدَمْعَةٍ تَسْكَابُ لِلنَّبِيِّ الْمُطَهَّرِ الْأَوَّابِ

لِصَفِيَّةِ بِنْتِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَرَدَ فِي كِتَابِ "شَعْرِ فِي رَسُولِ الْعَالَمِينَ مِنْ غَيْرِ أَصْحَابِ الدَّوَاوِينَ". (٢)

٣ - تَطْلَاب.

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلَابِهَا وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَكْوَارِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَكْفَارِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ بَيْنَ رَوَابِيهَا وَأَحْجَارِهَا (٣)

(١) ديوان ذي الرمة، ج ٣ ص ١٧٢٤ وانظر أيضاً الزهرة ج ١/٣٦٥.

(٢) شعر في رسول العالمين من غير أصحاب الدواوين، ص ١٢.

(٣) خيال العرب، ص ٣٤.

وقد ذكر الأستاذ المعبيد هذا البيت برواية أخرى، هي

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلَبُهَا وَرَحَلَهَا الْعَيْسَ بِأَقْتَابِهَا

وقد وَجَدْتُ هذا البيت مُصَحَّفًا عن رواية أخرى، في قصة سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ حين وَقَدَ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال عمر - ما بقي من كَهَانَتِكَ؟

وهي قصة طويلة، تروي الأبيات نفسها بقوافٍ مختلفة، ومنها قول سِوَارٍ في سياق القصة:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَخْبَارُهَا وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَقْتَابِهَا
تهوي إلى مَكَّةَ تبغي الهدى ما مؤمنو الجِنِّ كُفَّارُهَا
فَارْحَلْ إلى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ قُدَامَاها كَأَذْنَابِهَا

وأظن أن القِصَّةَ تحتاجُ إلى تحقيق، وليس بعيداً أن تكون رواياتٍ اختلفت بعضها ببعض، وهي في الأصل رواية واحدة.

وقد ذُكِرَتْ هذه القِصَّةُ في كتاب خيال العرب للسيد حسن مغنية نقلاً عن جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي.

٤- تَعْدَاءُ.

قُبَّ الْبُطُونِ مِنَ النَّعْدَاءِ قَدْ عَلِمَتْ أَنْ كُلُّ عَامٍ عَلَيْهَا عَامُ الْجَامِ

قاله الحطيئة، كما ذكر في الحماسة البصرية ولكنني لم أجده في ديوانه.^(١)

(١) الحماسة البصرية، ص ٥٠٣.

المصادر والمراجع

- تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، دار صادر، بيروت، تصويراً عن طبعة المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦ هجرية.
- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد القرشي، حققه وعلّق عليه د. محمد علي الهاشمي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.
- الحماسة البصرية، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، تحقيق د. عادل جمال سليمان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٨.
- خيال العرب، حسن مغنية، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١.
- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٩٨٣.
- ديوان الحطيئة، شرح د. يوسف عيد، دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٢.
- ديوان ذي الرمة، شرح الإمام أبي نصر الباهلي، رواية الإمام ثعلب، حققه وقدم له د. عبدالقدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢.

- شرح شافية ابن الحاجب، الشيخ رضى الدين الاستراباذي، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية/بيروت، ١٩٧٥.
- شعر في رسول العالمين من غير أصحاب الدواوين جمع وتحقيق، د. محمد الأطرش، دار المعالي، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠١/.
- كتاب سيبويه، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٩٨٣.
- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، ابن منظور، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٦٣، تموز - كانون الأول ٢٠٠٢.
- مجمع الأمثال، أبو الفضل النيسابوري الميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، منشورات دار النصر، بيروت ودمشق.
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، عبدالرحمن السيوطي، شرحه وضبطه محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي بمصر.